

ديوان

الموْثِقُ

□ من شعر

□ صلاح الدين القوصي

□ (الجزء الثامن)

□ الطبعة الأولى

□

□ رمضان ١٤٢٣هـ - نوفمبر ٢٠٠٢م

□ وقف لله تعالى لا يباع

(١)

﴿ الْمَبْرُورُ ﴾

(١٥٣)

(104)

﴿ البزوغ ﴾

بِاسْمِ الْكَرِيمِ الْوَاهِبِ الرَّحْمَنِ
رَهَبًا أُسْطَرُّ مَا أَرَى بِيَجَنَانِي
يَا رَبُّ إِنَّمَا كَانَ وَهْمًا .. فَاْمَحُهُ
وَإِلَيْكَ خُذْهُ بِرَحْمَةِ الْعُفْرَانِ
فَلَقَدْ عَلَيَّ تَخَلَّطَتْ بَعْضُ الرَّؤْيَى
وَ الْعَقْلُ حَارًا وَ زَاغَتِ الْعَيْنَانِ

والأمرُ عندَكَ .. ليسَ في أرضِ الفَناءِ
فلكيفَ أسألُ جاهلاً عن شأني !!

مِنَ تحتِ نعلِ "محمدٍ" أنا كاتبٌ
ما الحقُّ يُمليهِ .. يغيرُ لسانِ
فأرى و أبصرُ ثمَّ أفهمُ .. دونما
عقلٍ و أسمعُ دونما آذانِ
فأشكُّ في نَفْسِي و سَمْعِي فَتْرَةً
لكنَّ أعودُ بأعذبِ الأَلحانِ
حتَّى إذا أنكرتُ جاءَ مُبشِّرِي
المِصداقُ قالَ: اكتبْ فقدَ أمْلاني

فَأَقُولُ مَبْهُوتًا : أَقِيلَ لَكُمْ كَمَا
قَدْ قِيلَ لِي !! فَاشْهَدُ بِمَا آتَانِي

يَا سَيِّدِي يَا خَيْرَ خَلْقِ الْإِهْنَا
مَثَلُ نُورِ اللَّهِ فِي الْأَكْوَانِ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ حَتَّى تَنْجَلِي
عَنِّي الشُّكُوكَ يَا رُؤْيَ الْهَدْيَانِ
أَنَا تَحْتَ نَعْلِكَ قَائِمٌ أَوْ كَاتِبٌ
فَا حَفِظْ بِنُطْقِ الْحَقِّ طَرْفَ لِسَانِي
أَقُولُ مَا أَدْرِيهِ !! أَمْ أُمْسِكُ فَلَ
أَدْرِي أَمِنْ أَدَبِي أَصُونُ بَيَانِي !!

قَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ صَلَّى رَبُّنَا:
أَبْنَى .. رُحْمَى بِالتُّهَى وَجَنَانِ
أَكْتُبُ كَمَا يَأْتِيكَ رَمْزاً تَارَةً
أَمَّا إِذَا أَفْصَحْتَ... أَنْتَ لِسَانِي!!
الْأَمْرُ مَقْضَى عَلَيْكَ .. وَأَنْتَ مَا
إِلَّا الْمُنْفِذُ أَمْرَنَا وَبَيَانِي
سَيَجِيءُ أَهْلُكَ صَادِقِينَ مُصَدِّقِينَ
نَ .. وَ مَنْ سَيُنْكَرُ دَعَاهُ لِلشَّيْطَانِ
يَتَصَارَعَانِ .. فَإِنْ تَفَلَّتَ مِنْهُ عَادَ
إِلَيْكَ .. إِمَّا زَلَّ فِي النِّيرَانِ

وَلَقَدْ أَرَيْتُكَ أَنَّ فِعْلَكَ عِنْدَنَا
نُعْلِيهِ أَعْلَىٰ أَسْطُحِ الْبُنْيَانِ

صَلَّىٰ عَلَيْكَ اللَّهُ يَا نُورَ الْهُدَىٰ
يَا بَابَ عِلْمِ اللَّهِ فِي الْأَكْوَانِ
أَمْرًا رَأَيْتُ وَعِشْتُ فِيهِ مُحْيِرًا
وَوَضَّيْتُ مَوْتِي حَانَ فِيهِ أَوَانِي
مَوْتُ بَجْسَمِي دَبَّ فِي أَعْضَائِهِ
وَكَأَنَّ صَدْرِي فَوْقَهُ الثَّقْلَانِ
عَظْمِي يَذُوبُ وَلَمْ يَعْذُ مَتَمَّاسِكًا
وَتَهْدَلُ الْجِسْمُ .. وَرَاحَ كِيَانِي

أَمَّا الْفُؤَادُ .. فَقَدْ شَكَتُ بِأَمْرِهِ
فِي بَرْزَخٍ يَحْيَا بِجِسْمٍ ثَانِي !!

فِي فَجْرِ آخِرِ " جُمُعَةٍ " مِنْ شَهْرِنَا
وَلِأَرْبَعِ سَبَقَتْ " رَبِيعَ الثَّانِي "
قَدْ كُنْتُ فِي جَمْعٍ أُحَلِّقُ عَالِيًا
وَ الْكُلُّ مُرْتَقِبٌ حُدُوثَ قِرَانِ
وَ إِذَا " الْمُثَلَّثُ " ذَابَ مِنْهُ ضِلْعُهُ
وَ تَخَلَّلَا نُورًا بِهِ الضُّلْعَانِ
أَلْقَى بِأَحْمَالِ الْقُرُونِ عَلَيْهِمَا
فَتَطَابَقَا جَهْدًا بَعِيرِ تَوَانِ

وَنظَرْتُ فِي الرَّاسِيْنَ... قِيلَ: فَمَنْ تَرَى!!
فَرَأَيْتُ "حَجْرًا" فِيهِ "رُكْنٌ يَمَانِي"
و "مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ" يَزْهُو بَيْنَهُمْ
و "الْأَسْعَدُ الْحَجَرُ" اسْتَقَامَ مَكَانِي
وَ الْكُلَّ فِي جَمْعٍ تَوَحَّدَ نُورُهُمْ
فِي نُقْطَةٍ "الْمَهْدِيَّ" شَمْسُ زَمَانٍ
نُورُ الرَّسُولِ "مُحَمَّدٍ" يَغْشَاهُمْ
هُوَ أَوَّلٌ... وَ هُمْ الْوُجُودُ الثَّانِي
جَاءَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ فِي عَجَلٍ
لِتُبَارِكَ الْمَوْلُودَ فِي الْفُرْقَانِ
وَ تَقَدَّمُوا صَفًّا .. وَ أَلْقُوا عَهْدَهُمْ
نَصْرًا لِدِينِ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ

"إِنَّا لَنُنصِرُ عَبْدَنَا" .. قَالَ الْوَلِيُّ
قَالُوا : وَنَحْنُ الْجُنْدُ لِلرَّحْمَنِ
طُوبَى لِمَنْ فِي الْخَلْقِ يَعْرِفُ نُورَهُ
فَيُمِدُّهُمْ بِالْحُبِّ وَالْإِيمَانِ
الْيَوْمَ إِمَّا كَافِرٌ أَوْ مُؤْمِنٌ
فَافْهَمْ مُرَادِي إِنْ سَمِعْتَ بَيَانِي
الْأَمْرُ أَرْوَاحٌ تَدُورُ بِنُورِهَا
تُسْقَى بِكَأْسِ اللَّهِ عَدَّ ثَمَانِ
وَالْعَرْشُ يَحْمِلُهُ الثَّمَانِيَّةُ الَّتِي
عِنْدَ الْإِلَهِ تَدُورُ فِي الْأَزْمَانِ
وَالْقَبْضَةُ الْكُبْرَى بِكَفِّ "مُحَمَّدٍ"
فِي غَيْبِهَا حُجُبٌ مِنَ الْعِرْفَانِ

لا يعرف "المختار" إلا ربه
و النقطه العظمى مثال بيان
بيني وبينك في المحبة سائر
إن شئت ترفعه يطرف بان
لكنى راض بحجب جمالكم
فكمالكم أودى بكل جناني
ما يطمع العبد الفقير بذله
إلا بحق عبودة الإنسان
فإذا على تكرمت أيديكم
فلذاك منكم أكمل الإحسان
ما زلت تعطيني و تملأ مهجتي
و أنا لكم بالشكر لـج لسانی

مِنْ فَضْلِكُمْ هَذَا .. وَجُودُ تَكْرُمٍ
لَا مِنْ فِعَالِ الرُّوحِ وَالْأَوْزَانِ
مِنْ يَوْمِ قِيلَ "أَلَسْتُ" .. قِيلَ: "مُبَشَّرٌ
فَاصْمُتْ وَ لَا تَنْطِقْ بِطَرْفِ لِسَانِ
وَمَتَى أَرَدْنَا .. كَيْفَ شِئْنَا .. عِنْدَنَا
فَلَسَوْفَ يَبْدُو الْأَمْرُ بِالْحُسْبَانِ"
أَمَّا الَّذِي بِالْوَهْمِ فِيهِ تَطَاوُلُ
فَلَذَاكَ مَكْرٌ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ
الْفَضْلُ لِي عِنْدِي .. لِعَبْدٍ قَلْبُهُ
قَدْ بَاتَ مُنْكَسِرًا لَدَى "الرَّحْمَنِ"
لَا يُنْظَرَنَّ سِوَى الْعُبُودَةِ تَاجَهُ
يَغْنَى .. فَيَحْيَا فِي التَّجَلَّى الثَّانِي

وَرَسُولُنَا يَخْتَارُ ثُمَّ نُوَيِّدُ
" الْمَهْدِيَّ " بِالْأَجْنَادِ وَالْفُرْسَانِ

من قال كيف !!... لِمَ !! يَرُوحُ بِكِبْرِهِ
فِي بَرْزَخِ الطَّيْنِ بِلَا أَكْفَانِ

إِنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ أَخْلُقُ مَا أَشَاءُ
أُرْعَى الْجَمِيعَ بِرَحْمَةِ الْمَنَانِ

لَكِنِّي أَغْشَى الْمُحِبَّ بِرُوحِهِ
وَبِحِكْمَتِي أَخْتَارُ مَنْ يَغْشَانِي

فَوَعِزُّ وَجْهِي بِالْجَلَالِ .. فَلَا تَسَلْ
لِمَ ذَا أُذِلُّ .. وَقَدْ رَفَعْتُ الثَّانِي

أَنَا لَسْتُ أُسْأَلُ عَنْ فِعَالِي .. إِنَّمَا
قَهْرِي تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ جَنَانٍ

أَرَأَيْتَ يَوْمَ الْخَلْقِ .. لِي قَالُوا "بَلِي"
كَانَتْ مَعَادِنُهُمْ عَلَى الْمِيزَانِ
بَلْ قَبْلَهَا قَدْ كُنْتُ فَرْدٌ جَلالَتِي
قَدْ عَزَّ جَاهِي فِي الْوَرَى وَزَمَانِي
أَمَّا "الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَى" هُوَ سَيِّدُ
السَّادَاتِ فِي الْأَزْمَانِ وَالْأَكْوَانِ
شَمْسُ الْهُدَى فِي الْكُونِ لَيْسَ بِمُدْرِكٍ
نُورِي سِوَاهُ وَمَا لَهُ مِنْ ثَانِي

أَسْلَمْتُهُ مَنِّي لَوَاءَ الْحَمْدِ مَا
غَيْرَ الرَّسُولِ بَعَارِفِ رَبَّانِي
مِنْ بَعْدِهِ ظَهَرَتْ جَمِيعُ الْأَنْبِيَا
وَالرُّسُلِ أَقْمَارُ بَكُلِّ زَمَانِ
وَالصَّادِقُونَ وَكُلُّ صِدِّيقٍ لَهُ
عَرَفُ بَطِيبِ مَحَبَّتِي أَرْضَانِي
وَأَخَذْتُ مَحْبُوبِينَ لِي.. مِنْ بَعْدِهِمْ
جَاءَ الْمُحِبُّونَ ارْتَجَوْا إِحْسَانِي
وَمُقَرَّبُونَ.. وَفِيهِمُ الْأَبْرَارُ قَالُوا:
قَدْ شَهِدْنَا نَبِيَّكُمْ وَحَدَّثْنَا بِكُلِّ لِسَانٍ

حُبًّا وَفِيكَ حَيَاتُنَا ... فَاقْبَلْ لَنَا
رُوحًا تُوحِدُكُمْ بِكُلِّ زَمَانٍ

لَكِنَّ بَعْضَ الْخَلْقِ زَاغُوا أَعْيُنًا
مِنْ رَهْبَتِي قَالُوا " بَلَى " بِلِسَانِ
قِيلَ اسْكُنُوا فِي بَرْزَخِي .. أَمْرٌ قُضِيَ
كُلُّ لَهُ عِنْدِي نُشُورٌ ثَانِي
مِنْ يَوْمِهَا وَالْكُلُّ يُسْكُنُ بَرْزَخِي
حُبًّا وَقَهْرًا لَا يَرَوْنَ سُلْطَانِي
فِي صُورِهِمْ .. أَوْ بَرْزَخِي .. أَوْ أَرْضِهِمْ
مَا تَمَّ إِلَّا اللَّهُ فِي الْأَكْوَانِ

وَهُمُ السَّرَابُ وَلَيْسَ ثَمَّ سِوَايَ
فِي الْأَكْوَانِ إِنْ تَفَهُمُ تَرَى إِحْسَانِي
هُمْ خَلَطُوا بَيْنَ الْوُجُودِ وَظِلِّهِمْ
وَ أَنَا الْوُجُودُ وَظِلُّهُمْ هُوَ فَانِي
إِنِّي تَعَالَتْ عِزَّتِي وَجَلَّالَتِي
جَلَّ الثَّنَاءُ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ
قَالَ الرَّسُولُ: شَهِدْتُ أَنَّكَ وَاحِدٌ
فَرْدٌ .. عَلَا عَنْ كُلِّ فَهْمٍ جَنَانِ
أَنَا عَبْدُكُمْ .. قِيلَ الْمُكْرَمُ عِنْدَنَا
حَبِيٌّ وَإِنَّكَ عِنْدَنَا نُورَانِي
يَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَهَدْيُهُمْ
مِنِّي إِلَيْكَ لِخَلْقِنَا إِحْسَانِي

وَجَلالِ عِزِّي لَيْسَ يَعْرِفُ قَدْرَكُمْ
أَبْداءُ مِنَ الْأَكْوانِ خَلْقُ ثانياً
طُوبى لِمَنْ مِنْهُمْ تَقَرَّبَ صادِقاً
حُبًّا فَتَنَّبْتُ فِي النُّهى أَعْصانى
أنا لَيْسَ لى بابُ سِواكَ فَمَنْ أَتى
مِنْ بابِ قَلْبِكَ مَرْحَباً بالِدَّانى
إِنِّى أَصَلِّى وَالصَّلاةُ عَلَيْكُمْ
قَدْرُ رَفِيعُ عَاطِرُ الْأَرْدانِ
وَالكُونُ وَالْمَلِكُ الْكَرِيمُ وَكُلُّ ما
فِي الخَلْقِ صَلُّوا ما بَدَأَ الحَدَثانِ

طوبى لمن صلى عليك مسلماً
فوضعتُه عندي بأرفع شأنٍ

صلى عليك الله يا جدى على
مرّ العصور بوقت كل أذانٍ
فى كل أنفاس الخلائق سامعٌ
من ذا يؤدّن دُونَ أَىّ تَوَانٍ
صلى عليك الله يا خير الورى
صُبْحاً وَ لَيْلاً عَدَّ كُلَّ تَوَانٍ
أَسْنَى صَلاةٍ ما تَعَلَّمَ مِثْلَها
مِنْكُمْ سِوَاىَ بَدَلَّتِى وَ هَوَانِى

أنا عَبْدُكُمْ وَالظُّلُّ فِيَّ "مُحَمَّدٌ"
فاجعل صلاتي منه فيه حساني
واربط بها قلبي لقلب "مُحَمَّدٍ"
واجعل بها جسيمي لصيق حنان
قد زادني كرمًا .. فزدتُ تَذَلُّلاً
واغرورقت عيني وصل لساني
صلى عليك الله يا جدّي كما
ترضى ويرضى ربنا بياني

غرة ربيع الثاني ١٤٢٣هـ - يونيو ٢٠٠٢م